وربما وجدته مديناً وقد لا تكون لهُ عائلة اكثر من زوجة وخادمة وخادم وما جره للحرمانَ من كسبه الا السرف الغربي فلو اخذنا من محسنات الغرب ما لا بد منهُ واقتصرنا على ما يوافق اخلاقنا وعاداتنا لحفظنا لانفسنا حق الانتفاع بثمرة الاقتصاد الشرقي ولكن طرنا حوْل الاهواء وجرينا خلف المرئيات المزخرفة الظاهر وتتبعنا سير الغربي فجاريناهُ حتى سبقناهُ واصبحنا نعض الانامل من الغيظ ونضرب الكف بالكف اسفاً وندماً وهيهات هيهات ان نفع الندم مع التمادي على هذا التهالك في السرف اللهم الا ان تداركنا بقية صارت على شفى جرف الضياع وما ذلك على الله بعزيز

باب التهذيب

يعلم الناس ان النفوس تشتاق للامر الواقع اكثر من اشتياقها الى المتخيل وقد كنت اتناظر في اختفائي مع صديق غربي فان غاب عني يوماً اخذت اتكلم مع خادمي وكان غلاماً امياً فارغاً من الآداب لا يعرف الا ما اخذه عن والدته وما تلقاه عن امثاله فعلمته الكتابة وهذبته ولقنته ما يلزم لمثله وقبل وصوله لهذه الدرجة جرت بيني وبينه محاورات في مواد كثيرة وذلك اني كتبت كلمات من باب المثل السائر او الحِكَم واخذت اقرؤها عليه وافهمه معناها فكان يصدر منه ما يحرك الحليم للغضب واصبر رجاء وصوله الى التهذيب . وهذه الطريقة التي التزمتها في تهذيبه اسهل تناولاً من كتاب مؤلف في هذا الباب ولهذا عزمت على نشر تلك المحاورات لاشتمالها على فنون ادبية شتى في طي

فكاهات · ولنشر اليه بحرف ص فان اسمه صالح ولكني ارجو القرآء ان يغضوا الطرف عما يجدونه من نتائج جهله قبل ان يتعلم فان الفراغ من المعارف يصدر عن المرء من الشذوذ والاغلاط ما لا يتصوره ذو و العرفان

ن · يا صالح تعلم ان صاحبنا لم يحضر اليوم وقد كتبت كلمات سميتها حِكماً واريد ان اقرأها عليها لتستفيد منها ما عساه ان ينفعك مما فيه صلاح دينك ودنياك فما تفهمه منها قل لي فهمته والذي لم تفهمه سلني عنه

ص · يا سيدي انا طول عمري ما سمعت بالحِكَم ولا شفتها بعيني واعرف انه لا يهدي الناس بالكلام الا العلماء في المساجد والحمد لله عمري ما عييت وطلبت حكيم وانما كانت امي تعمل لي الدواء بمعرفتها · واسمع من الناس ان الحكما دول فلافسه فان كنت تحفظني كلمتين ينفعوني احسن من الحكم فانها بطّالة

ن · هذه الحكم عبارة عن كلام من باب النصائح والمواعظ مثل كلام الخطباء على المنابر يوم الجمعة فلا تتصور انه خارج عن الدين او طاعن فيه معاذ الله · والحكماء الذين ذكرتهم يقال لهم اطباء وليس المسلم منهم زائغاً عن العقيدة ولا خارجاً عن الدين وكذلك غيره بحسب معتقده وهم حفظة الابدان وعلمهم اشرف العلوم بعد علوم الشريعة الغراء · فان صحة الابدان تمكّن من النظر في العلوم الشرعية وغيرها وتعلم الدين واجب وهو موقوف على صحة الابدان وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فتعلم الطب واجب وجوباً كفائياً يعني انه يلزم ان

يتعلم فريق من الامة ما يقوم بحفظ صحتها ومعالجة امراضها · فلا تسمع كلام الجهلة فيهم ولا تعول على مجربات النساء فانهن ان اصبن مرة اخطأن مرارًا · وانا الآن اعالجك بما اعلمه من هذا الفن بقدر الضرورة وعند ما يكشف الله غمتنا اذا مرضت فلا تسأل امك واعرض نفسك على الطبيب وانت واثق بذمته ولا تعمل بغير كلامه فانك اذا نظرت الى الجهلة وفعلهم في الناس وجدت ان اكثر موتى العوام في الريف والمدن قتلى بالسموم التي يتناولونها من ايدي الجهلة باسم الدواء · ومن العجيب اعتماد العوام على الدجالين اكثر من اعتمادهم على اصحاب هذا الفن واعجب من ذلك ان المرأة تدخل على المريض فتقول كان فلان بهذا الداء وطاب بدواء كذا معتقدة تماثل الاجسام والامراض على انها لا تحسن تشخيص المرض فتعلم ان هذا هو عين ذاك وبخطائها في التشخيص تقتل المريض بما تصفه خصوصاً اذا وضعت له جواهر سامة · ونحن نعلم ان كثيرًا من مهرة الاطباء يخطيء في تشخيص مركز المرض احياناً فكيف نثق بالنساء والجهلة الذين ما قعدوا بين يدي معلم

ص · حيث الامر كذلك وانت تعرف الكلام النافع من غيره وانت الان مثل والدي فتفضل اقرأ الحكم ولكن فهمني الذي يكون بالنحوي

ن · اول الحِكم · ترك الحزم يضيع الفُرص · والفُرص جمع فرصة يعني فُرصة وفُرصة وفرصة تجمع على فُرص مثل ما تقول لُقمة ولقمة ولقمة تجمع على لقم · والفُرصة النوبة واصلها ان العرب كانوا يجتمعون عند البئر لسقي الابل فاذا فرغ الاول قالوا للثاني جأَت فرصتك اي نوبتك وانت

تقول فارصت فلاناً اي ناوبتهُ · وانتهزت الفرصة اي اغتنمتها · فاذا جأَك السرور وقتاً وانقطع وقتاً آخر فكل وقت يأتيك فيه يقال له فرصة فاذا تركت الحزم في ذلك الوقت فقد اضعت فرصة السرور اي نوبته

ص · الشيء الذي لا تراه العين ولا تمسكه اليد كيف نحزمه فان السرور لا يرى بالعين ولا يمسك باليد والحزم يكون بالحبل والا بالعقل

ن · الحزم ضبطك الامر والتأني في تناوله بحيث لا يغالبك عليه شيء من العوارض الا كنت معدًّا ما تدفعه به فاذا رزقك الله تعالى عقلاً تضبط به امورك وتحفظها ممن يغالبك عليها او يحول بينك وبينها كنت حازماً واذا تركت نفسك للصدف والمتفقات فانك تضيع اكثر مما تحصله وكنت من المغفلين

ص · الآن فهمت ولكن هذه الامور من اي نوعٍ من الاكل او الشرب او الفاوس

ن · الامور التي تتفارص الانسان لا تدخل تحت حصر فانها عبارة عن كل ما ينزل به مدة حياته صغيرًا كان او كبيرًا حقيرًا او عظيمًا

ص · بقي انا الآن عاوز اروح بيت الراحة فان بطني ماشية عليَّ فاذا لم اشخ على كلامك اكون ضيَّعت الفرصة ولا اكون حازماً

ن · نعم انك اذا لم تقم في الحال وتذهب الى الخلاء فانك تجلب على نفسك ضررًا وربما احدث التأخير ناصورًا وربما طلبت الخلاء وغيرك فيه فتتألم بالتأخير او تحدث في ثيابك فانتهز الفرصة وقم لقضاء حاجتك

فانك فضلاً عن اضاعة الفرص لا تفهم كلامي فان الحاقن اي الذي حبس بوله يكون مضطرب الفكر . ولا تقل في خطابك الناس اشخ خصوصاً اذا خاطبت اكبر منك سناً او مقاماً فانها لفظة مستهجنة وان كان معناها العربي ابول فانهم يقولون شخّ الصبي اذا بال والاحسن ان تقول اريد قضاء حاجة تكني بذلك عن البراز او اريد ان اتبرّز اذا كنت مع اهل العلم فان التبرُّز معناه اخراج البراز والاصل فيه ان الرجل اذا اراد قضاء الحاجة خرج الى البَرَاز اي الفضاء . والادبآء تلطفوا في هذا المحل فيقول احدهم اريد تجديد الوضوء وغيره يقول زيّ الناس اي ان هذا الامر الذي اعتراه ساوى فيه غيره من الناس فتلطف عند مخاطبتك الناس وعبر عن مقصودك في مثل هذا بعبارات لا تثقل على الاسماع ولا تضحك الناس عليك

﴿ غبطة ﴾

ايها القاريُ هذا جليسي الذي لا يفارقني فلا تعترض عليه واحمد الله تعالى على وجودك في حالة يغبطك عليها مثلي وتأمل قوله اذا لم اشخ على كلامك تعرف طهارة ذوقه ولكنه يعذر بجهله وفراغه من معدات الكمال فاذا سفهتُ آراءَه وقبحت افكاره فقد نزلتُ الى رتبته وكانت معارفي جهالة فإن المعارف لا تسمى معارف الا اذا حسنت لصاحبها كل حالة يكون عليها ومكنته من تعليم الجاهل ومسامرة الغبي وتفهيم البليد . فان العالم لا يجد من يماثله في كل وقت ولا فضل له في معاشرة المثيل فان الآداب وصلة بينهما . فغض الطرف عن عيوبه فانه